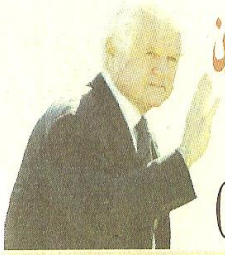


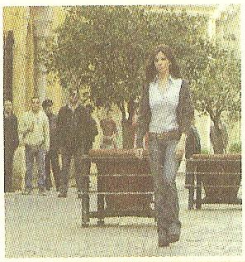
السودان: الثروات الضائعة

(حصاد الأسبوع)



تيد كنيدي.. أيقونة الديمقراطيين

(حصاد الأسبوع)



وسط بيروت يعود وجهة لتصوير أغاني المطربين

(الوتر السادس)

المزيفون: ق

طبعة لندن

الشرق الأوسط

ASHARQ AL-AWSAT

The Leading Arabic International Newspaper

جريدة العرب الدولية

editorial@asharqalawsat.com



تصدر في لندن وتوزع في جميع أنحاء العالم وتنقل بالأقمار الصناعية إلى كل من الظهران. الرياض. جدة. الكويت. الدار البيضاء. القاهرة. بيروت. دبي. بغداد. فرانكفورت. مارسيليا. مدريد. لندن. نيويورك

الجمعة 25 جمادى الأولى 1429هـ - 30 مايو (أيار) 2008 - السنة الثلاثون - العدد 10776

London – Friday – 30 May 2008 - Front Page No. 1 Vol 30 No. 10776

اختتام مهرجان موزاييك السينمائي

عبد اللطيف كشيش يجذب الأضواء لفيلمه الجديد

لندن: لؤي عبد الإله

ترافق بدء مهرجان موزاييك السينمائي لعام 2008 مع «يوم اليونسكو العالمي للتنوع الثقافي من أجل الحوار والتطور». وفي الدورة العاشرة له ترسخ التقليد الذي ظل هذا المهرجان ملتزما به منذ انطلاقته الأولى عام 1998 في لندن، برعاية المعهد الثقافي الفرنسي. وشمل مهرجان هذا العام أفلاما من بلدان، تنتمي إلى قارات وثقافات مختلفة، وجرى عرضها لأول مرة في لندن. ومنها فيلم المخرج الفرنسي - التونسي، «كسكس» الذي حصد منذ عرضه الأول في فرنسا عدة جوائز. فالمخرج كشيش حاز جائزة «سيزار» لأحسن إخراج وأحسن تصوير لهذا العام. كما كسب جائزة لوي ديلوك المعتبرة عن أحسن فيلم. كذلك عرض فيلم مصري لأول مرة في لندن من إخراج يسري نصر الله، عنوانه «جنينة الأسماك». كذلك حظي فيلم المخرج الطاجيكي جمشد اوسمونوف، «للوصول إلى السماء عليك أن تموت». ومن الصين شارك المخرج والكاتب اكسيالو غو بفيلم عنوانه: «كيف هي أسماكك اليوم؟».

في فيلم «جنينة الأسماك»، يسعى المخرج يسري نصر الله إلى عكس الأزمة التي تعيشها الطبقة المتوسطة الليبرالية في مصر. وهو يرصد شخصيتين أساسيتين: ليلى المذيعة التي تقدم برنامج «دردشة» في ساعة متأخرة من الليل، حيث يحكي المستمعون خلاله حول رغباتهم الأكثر خصوصية، ويوسف الطبيب المتخصص بالتخدير والذي يستمتع بمتابعة البرنامج، ويكرر الاتصال هاتفيا بليلى، حاكيا لها عن نفسه. فهو لا يعيش في شقته، بل استوطن سيارته طوال الوقت. كذلك هو مثل ليلى يحب الإستماع إلى مرضاه بعد حقنهم بالمخدر، وهم يتحدثون عن رغباتهم الأكثر حميمية. وفي نهاية الفيلم يتقاطع طريقاهما.

وإذا كان نصر الله قد نجح في نقل ذلك المناخ القريب من كابوس عذب يتنقل فيه الأبطال من دون هدف، سوى التمتع العابر باللحظة، فإنه فشل في خلق ذلك التعاطف ما بين أبطاله والمشاهد. يمكننا تلمس رسائل كثيرة يبعث بها الفيلم لنا: فهناك مظاهرات تنظمها حركة «كفاية»، ضد الفساد السائد في أجهزة الدولة، وهناك حضور الشرطة القوي المجهز لقمع المتظاهرين، من جانب آخر هناك السلطة الحاضرة داخل المؤسسات الإعلامية والمتمثلة في الأصوليين الاسلامويين ورغبتهم في فرض رقابة على أنشطة الإعلاميين الليبراليين. من جانب آخر، هناك ذلك الإحساس بالدوران الشبيه بالدوران داخل دوامة لا مستقبل لها، شبيهة بـ«جنينة الأسماك» التي حاول المخرج أن يوحي لنا بتماثلهما.

ومع نجاح الفيلم في نقل عالم القاهرة الآن، وإقحام حوارات شائقة، فإنها تظل أجزاء متفرقة تفتقد للخيط الرابط بينها، مع غياب النمو الدرامي لأحداث الفيلم. فما الذي جعل شخصا ناجحا مثل يسري يعيش متصعلكا، ليذكرنا بالشخصيات الوجودية في روايات سارتر وكامو، أو لماذا ظلت ليلى غير متزوجة حتى مع ما تمتلكه من جمال وذكاء ونجاح؟

التخلي عن تناول الأسباب وتنامي الشخصيات جعلا المشاهد يتابع من النافذة عالما متقلبا، تطفح رسائل الاحتجاج السياسي منه من وقت إلى آخر، من دون مس الأسباب، بينما هناك دقائق حميمة مثل تلك التي تجمع يوسف وأباه المريض المقيم بشكل نهائي في المستشفى.

يمضي المخرج خطوة أبعد، حيث يقلد أسلوب بريخت المسرحي، حينما يذكّرنا الأبطال من وقت إلى آخر أنهم يؤدون أدوارا خيالية، فيمضون في الحديث عن الشخصيات التي يتقمصونها! كانت مفاجأة المهرجان الحقيقية فيلم «كسكس» الفرنسي، فهو اللحظة الأكثر تألقا في المهرجان. وفيه يسلط المخرج كشيش الضوء على حياة عدد من المواطنين الفرنسيين من أصل شمال أفريقي يعيشون في بلدة «سيت» الساحلية الواقعة جنوب فرنسا على البحر المتوسط. وتدور أحداث الفيلم حول عامل الميناء سليمان، 61 سنة. فبعد طرده من عمله يدخل دوامة كآبة، وهو يرى نفسه فائضا عن الحاجة. ومن خلال تنقله بواسطة دراجته



البخارية البسيطة نتعرف على حياته. فهو يعيش منفصلا عن زوجته التي تقيم مع ولدها المتزوج من فتاة فرنسية وآخر في سن المراهقة، وصغرى بناتها الثلاث. وبدلا من ذلك يسكن سليمان في فندق عامر بعدد من الموسيقيين المتقدمين في السن. وكأنهم يشكلون فرقة تحيي الأفراح لأبناء الجالية المغاربية. وإذا كان سليمان قد هجر زوجته، فهو مرتبط بصاحبة الفندق وابنتها المراهقة ريم. وحينما يخطر في ذهنه حلم بناء مطعم فوق زورق مهجور، تأخذه ريم عبر متاهة الدولة البيروقراطية للحصول على الموافقة ثم الحصول على قرض مصرفي. وإذا كان الفيلم قد سار في مناخ كوميدي خفيف، فإننا نتمكن من خلاله تلمس الكيفية التي تتفاعل الهويات المتعددة وفقه ضمن المجتمع العمالي في ذلك الميناء الصغير. فأبناء الجالية المغربية متداخلون مع الفرنسيين. فمقابل ارتباط سليمان بفرنسية ترتبط إحدى بناته بعامل فرنسي. وفي وليمة كسكس بالسمك تعدها الأم نكتشف نقاط التمايز والتماثل بين الأفراد الحاضرين. فالأم حتى مع ترك زوجها لها ما زالت تحبه. لكن الحب المتمثل فيما يسمى بـ«العِشرة».

في ليلة افتتاح المطعم، حيث دعيت كل تلك الوجوه البارزة يمضي أفراد العائلة في خدمة الضيوف. لكن في وقت متأخر، تكتشف بنات سليمان أن قدر الكسكس نفسه غير موجود. فبعد أن جاء الابن الأكبر بقدور الطبخ من بيته، حيث أعدت الأم كل الأطعمة لزوجها المتخلي عنها، يمضي في موعد غرامي، ناسيا ذلك القدر الأساسي في صندوق سيارته الخلفي. تدريجياً، ينحو الفيلم منحى آخر. فكأن المخرج كشيش بعد أن توثق من وقوع المشاهد في صنارته، عبر الكوميديا قلب اتجاه السكين. ليصعّد من الشعور بالاضطراب في نفسه. فالأب سليمان يذهب باحثا عن ابنه. لكنه وهو يحاول تقصي الشقة التي دخل فيها ابنه ضمن ذلك المجمع السكني التابع للدولة، يسرق ثلاثة صبيان دراجته، ويمضون بالدوران أمامه، بينما يظل هو متوسلا بهم أن يعيدوها له. وحينما ينهار سليمان في الطريق، يكون المدعوون في قمة التهيج، بعد أن مضت ريم ترقص أمامهم رقصا شرقيا، انتظارا لوصول الكسكس. حتى الآن، اعتبر هذا الفيلم تجديدا للسينما الفرنسية بعد بلوغها نقطة الاحتضار. وراح بعض النقاد يقارنون كشيش بالمخرج الكبير تروفو وبالسينما الواقعية الإيطالية. ففي شريط تناول غداء الكسكس يمنحنا المخرج لحظة تحسس بهاء لحظة العيش وفتنتها حينما تكون معجونة بالحب. وكأن هذا الفيلم رد ثقافي وفني على كل تلك الأصوات الغربية التي ظلت تتكلم عن مجتمعاتها ذات الأصول الإسلامية باعتبارها في حالة تصادم جذري مع الثقافة الأصلية. هنا نجد في هذا التلون الثقافي إغناء حقيقيا لحياة المجتمع والفرد بشكل عام، ولعل وجبة «الكسكس بالسمك» ذات الأصول التونسية هي مجاز يعبر عن هذا التفاعل. لكن المخرج كشيش لا يقف عند حالات التصافي، بل هو يمضي لتسليط الضوء على الأحكام المسبقة التي تبرز حال شعور شخص بالأذى من شخص آخر ينتمي إلى اثنية أخرى. فزوجة ابنه تنفجر غاضبة على أسرة سليمان بأكملها بسبب خيانة زوجها لها، متهمة إياها بالتواطؤ معه، تعبيرا عن احتقار يكنها أفراد الأسرة لكنّتهم الفرنسية الأصول. كذلك تظل تلك الهواجس التي يتركها الفيلم، في انهيار سليمان الجسدي، وانهيار حلمه، بامتلاكه مشروعا تجاريا يشارك فيه أفراد عائلته، مؤشرا إلى استحالة تحققه. فهل أراد المخرج كشيش الذي كتب سيناريو الفيلم استنادا إلى شخصيات عائلته الحقيقية، أن يثير الشكوك بإمكانية تحقق الاندماج مع الاحتفاظ بالهوية الثقافية؟ لكن يبدو كأن النهاية المفاجئة ضرورة فنية نقلت الفيلم إلى مستوى آخر. وفي اللقاء الذي جرى بين الجمهور والمخرج بعد عرض الفيلم، تحدث كشيش عن الطريقة التي اتبعها في العمل مع عدد من الممثلين غير المحترفين. وكانت تلك الجلسات التي جمعته بالممثلين وما ترتب عليه من كسب ثقتهم قد ساعدتهم على نقل ما في دواخلهم من مخزون عاطفي، وهذا ما جعلهم طرفا في كتابة الصيغة النهائية للسيناريو، وفي مسك لحظات العيش الحميمة التي تتجاوز قدرات الكتابة في التعبير عنها. الفيلم مليء بالإشارات ولحظات التماس البشري التي تأسر القلب، وهذا ما جعل وقت عرضه الذي يصل إلى ساعتين ونصف الساعة يمر بسرعة مدهشة حقا.